

المحاضرات التاريخية الكبرى

١- الحركة النهلستية ومصرع القيصر اسكندر الثاني

صفحة رائعة من صحف الثورة على الطغيان

للأستاذ محمد عبد الله عنان



كانت الثورة البلشفية نتيجة محزنة للمعركة التحريرية الرائعة التي اضطرت مدى ستين عاماً بين القيصرية وبين الحركة الثورية الروسية . ولم يثل عرش القيصرية ويسحق طغيان القيصرية وتمحى نظم الاقطاع وامتيازات النبلاء إلا ليقوم مكانها طغيان جديد أشد إمعاناً في الارهاب والسفك وتل الحقوق والحريات العامة . ومن ذا الذي يستطيع أن يقول إن الشعب الروسى يتمتع اليوم في ظل النظم البلشفية بلحمة من الحرية التي كان ينشدها في أيام القيصرية والتي اعتقد أنه ظفر بها كاملة في ثورة مارس سنة ١٩١٧ الاشتراكية ثم في ثورة أكتوبر البلشفية . كانت روسيا منذ منتصف القرن التاسع عشر مسرح نضال عنيف بين طغيان القيصرية وبين العقيلة الروسية الجديدة الطموح إلى الإصلاح والتحرير ؛ وكانت روسيا الجديدة تنشد الإصلاح السلمى بادية . بدءاً وتحاول عن طريق الإصلاحات الدستورية والاجتماعية تحطيم الأسناد المرفقة التي تطوق القيصرية بها عنق الشعب الروسى ؛ وكان رسل روسيا الجديدة يومئذ جبهة من الشباب المستنير الذى حفزته مؤثرات الثقافة الحرة إلى التطلع إلى آفاق جديدة . كان هؤلاء هم طلائع «النهلزم» أو الحركة النهلستية كما سماها ترجنيف ، وكانت هذه الدعوة الإصلاحية التوثية دعوة مثل ومبادئ يذكها طائفة من الكتاب الأحرار بأقلامهم الملتبة ؛ وكان أخص ما يميز الدعوة الحديثة على قول ستينياك مؤرخ الثورة الروسية « هو إنكار كل ما يفرض على الفرد إنكاراً مطلقاً تمززه الحرية الفردية . وقد كانت النهلستية ثورة قوية مضطربة لا على الطغيان السياسى ولكن على الطغيان الجبوى الذى يرهق حياة الفرد الخاصة » . على أن هذه الحركة الإصلاحية السلمية لم تلبث إزاء

سأسهم ، ولا فكاكة إلا فكاكهم ، ولا فطنة إلا فطنتهم ، سعد في مراتب الفن والشعر إلى مواطن أقدام المحرومين ، الذين لا يشعرون ولا يتذوقون ، ولا يستمرثون لافة ولا يستلحون للماني والنكات ؟؟ وإذا كان ما استقروا ، هو غاية الحس والدوق ، وحمادى الابداع والاحسان ، وقصارى افة والجمال ، فما بالهم لم ينجبوا رجلاً واحداً خلافاً في عالم الشعر الكتابة أو التصوير أو الموسيقى ، وقد أنجبت الأمم المئات لوف ؟

سيمضى زمن نرجو ألا يطول قبل أن يفقه أدعياء الدوق أنهم صفر من الدوق ، وأن الله لم يخلق على الأرض طائفة ظ منهم حساً ، وأثقل منهم روحاً ، وأفرغ منهم لباً ، وأعزل م داء على العلاج

وسيمضى زمن نرجو ألا يطول قبل أن يفقه أدعياء النقد عندنا الدوق الذى يستحسن حسناً جميل ، وأجل منه الدوق الذى يحسن الحسنيين ، وأجل منهما الدوق الذى يستحسن الشينين ما تناقض في الحسن كأنهما ضدان

وسيمضى زمن نرجو ألا يطول قبل أن يشيع بيننا أن كل قد يشتعي طعاماً لذيذاً ولا يمنع ذلك أن تشمل الأطعمة الفلون لذيذ غيره ، وأنه إذا جاز هذا في الآكال التي تمد به فأخلق أن يجوز فيما ليس له آخر ، وهو أظعمة الألباب ناف الماني وألوان الشعور

ونرجو ألا يطول الزمن قبل أن يتعلم الهازلون الماجنون كيف جون من نفوسهم ليمرفوها ويعرفوا سواها ، كما يخرج السائح وطنه ليعرف وطنه ، ويخرج القاري من زمنه ليعرف زمنه ، يد المصور من صورته ليراها حق الرؤية ويلغ بها جهده من رية والتجويد

وتلك قلة صعبة على من يحتاج إليها . ففي عالم المادة أكثر انطلاقا إلى الخروج المحبوسون في المكان المغلق المحدود . عالم الفكر والروح فالمحبوسون في المكان المغلق المحدود هم الناس انطلاقا إلى الخروج وأكثرهم قناعة بما هم فيه .

عباس محمود العقاد

عنت القيصرية وإغاضها عن الاستماع لدعوتها ، أن تطورت بسرعة إلى حركة ثورية تعزم أن تحقق مثلها بالنضال والعنف . واحتشد الشباب الثوب من جميع الطبقات تحت لواء الحركة الجديدة . بيد أنهم على قول ستينيك « كانوا عزلاً إلا من النظريات والمثل ، وكانوا يحاربون قوة هائلة مدججة بالسلاح والعدد ، ولم يك ثمة سبيل لأن يحركوا كتلة الشعب التي تزعج في أغلال الرق والدلة » . وكانت القيصرية تضاعف إجراءات القمع وتعمن في مطاردة أولئك الرجال والنساء الذين يتجاهلون حقيقة الحياة والنظم القومية الروسية .

وهنا بضطرم النضال وتنشب بين القوتين الخصميتين : القيصرية والنهلسية - تلك الحركة الهائلة التي تقطر في كل مراحلها دمًا ، وتتأثر حولها الأشلاء من كل صوب ، ويتساقط في حلبها قياصرة وأمراء وقواد وحكام وشباب من كل الطبقات . كانت القيصرية وعميدها ، وكل المؤيدين لطغيانها ، هدفًا لطائفة من المؤامرات والجرائم التحريرية المحكمة تعصف بهم وتثل أرواحهم بين آونة وأخرى ؛ وكانت هذه الجمهرة المستبلة من الشباب النض بين فنية وقتيات تلقى بنفسها إلى تلك الغمار المروعة وهي تودع الحياة في كل مرة أفرادًا وجماعات ؛ وكان العنف يذكي العنف فكلما وقع اعتداء جديد على زعيم من زعماء الطغيان حشد الطغاة في الحال حول الشائق رهطًا من الشباب المجاهد وأعدموهم بعد محاكمات مرتبة تختم دائمًا بمجازر بشرية . ذلك هو تاريخ النهلسية أو الحركة التحريرية الروسية التي سطرها التاريخ بمداد من الدم الغزير .

بدأ هذا النضال الضيف في سنة ١٨٧٥ بعد أن فضجت الحركة الثورية ، واحتشد حول المثل الحرة الجديدة جيش حقيقي من الفدائيين ؛ وكانت القيصرية كلما اشتد ساعد الحركة الثورية واشتدت مطالب الأحرار في سبيل الإصلاح الدستوري اشتدت من جانبها في القمع والطاردة ، وازدادت حرصًا على سلطانها المطلق . وكانت سلطات الطغيان تبسط على أنحاء روسيا الشاسعة حكمًا من الارهاب المطبق ، تدعمه جاسوسية بارعة خطيرة ؛ وكانت القيصرية هي الباغية المتجنية لأنها لم تهتمع إلى دعوة الإصلاح ، بل آثرت سلاح القمع الممجى ، فالت على الحركة الثورية بمحاول تمزيقها ، ومالت على الأحرار بمحاول إفناءهم ، وأسرفت في القبض والاعتقال والنفي إلى سيبيريا ، وتدير المحاكمات الصورية وأخذها

وسيلة لإعدام الرعاء والقادة والشباب المجاهد ؛ وأجاب الأحرار من جانبهم بتنظيم حركة من الإرهاب الثوري ذهب خصيتها ثبت حافل من الوزراء والقضاة ورجال الشرطة وغيرهم من أعوان الطغيان . وكانت هذه الحركة الشهيرة في صحف الكفاح الثوري ذروة الحركة النهلسية ، وكان قوامها من جانب سلسلة من الجرائم السياسية المروعة ، ومن الجانب الآخر سلسلة من المحاكمات الرنانة . ففي سنة ١٨٧٧ قبضت الحكومة على خمسين من الأحرار النهلسيين وحوكموا في موسكو بتهمة التآمر على سلامة الدولة وهي التهمة الخالدة التي يشهرها الطغيان دائمًا في وجه خصومه . وكان منهم صوفيا باردين وهي فتاة ثورية نابهة عرفت مثل النهلسية أمام قضائهم بما يأتي : « إن الجماعة التي أنتى إليها هي جماعة الدعاة السليين . إن غايتنا هي أن نبعث إلى نفس الشعب مثل نظم أفضل وأقرب إلى العدالة ، أو بالحرى أن نوقظ المثل الغامض الذي يجثم في نفسه ، وأن نبين له عيوب النظام الحاضر حتى لا يعود في المستقبل إلى نفس الأخطاء التي يعانيها . أما متى تدق ساعة هذا المستقبل المنشود فهذا ما نجعله وليس علينا نحن أن نبينه » . وأسفرت المحاكمة عن القضاء على كثيرين بالإعدام والسجن والنفي . وفي العام التالي قبض على نحو مائتين منهم وقدموا إلى المحاكمة في بطرسبرج وليننجراد فهلك في بدء المحاكمة منهم ثلاثة وتسعون بالتعذيب والاتجار ، وقتل النهلسيون من جانبهم عدة من الجواسيس ، وأطلقت فتاة تدعى فيرا زاسولتس النار على تربيوف مدير الشرطة بجرخته جرحًا خطيرًا (فبراير سنة ١٨٧٨) وقدمت إلى المحاكمة فبرئت وحملت على الاعتناق في مظاهرة صاخبة ، ثم فرت خيفة اللطاردة والانتقام . وفي أغسطس أعدم الزعيم الاشتراكي كرفالسكي في أودسا فلم تمض بضعة أيام حتى انتقم له الثوار بقتل رئيس الشرطة منتريف . وفي فبراير سنة ١٨٧٩ قتلوا في خاركوف حاكم المقاطعة البرنس الكسى كروبتكين ، وانتقمت القيصرية على الأثر بإعدام الزعيم أوسنسكى وبعض رفاقه . وهكذا لبثت الحركة على اضطرابها أعوامًا طويلة تمحصد أرواح الفريقين . وكان مصرع القيصر اسكندر الثانى أعظم حوادث هذا النضال الدموى المروع وكان ذروة الحركة النهلسية ؛ وكانت المحاكمة التي تلت أعظم المحاكمات السياسية التي عرفت هذه الحركة الفياضة بالحوادث والمحاكمات الرنانة . وكان اسكندر الثانى الذى

مساء ٢٧ فبراير أن استطاعت الشرطة الحرة أن تقبض على أندري جليابوف زعيم اللجنة الثورية في دار صديقه وزميله في اللجنة المحامي تريجيوني وقبض على تريجيوني في نفس الوقت، وحمل النبا إلى القيصير وزير الداخلية مليكوف فابتهج به أيما ابتهاج، لأنه كان يعتقد أن جليابوف رأس اللجنة المدبر ولن يهدأ له بال مادام حراً طليقاً. ورفع الوزير إلى القيصير في نفس الوقت مشروع المجالس المحلية الذي اعترمت الحكومة تنفيذه بعد أن وضع في صيغته النهائية فوعد القيصير بالنظر فيه في الند.

وكان ذلك في مساء يوم الجمعة ٢٧ فبراير سنة ١٨٨١ وكان القيصير يعزم أن يشهد يوم الأحد أول مارس تمارين فرسان الحرس في ميدان ميخايلوفسكي كمأذنه كل أحد. فرجاه وزير الداخلية ألا يفعل لأن جليابوف صرح أمامه أن القبض عليه لا يمنع وقوع اعتداء جديد على حياة القيصير، ولكن القيصير لم يعبأ بهذا التصح وصمم على الذهاب.

وكان القبض على جليابوف ضربة شديدة للجنة التنفيذية. وكان يقيم منذ حين في بطرسبرج باسم سلاففسكي مع صاحبه وزميلته صوفيا يروفسكايا بزعم أنها أخته، وكانت صوفيا ساعده الأيمن في تدبير المشاريع وإدارة الشؤون؛ فلما قبض عليه ولم يعد ليلة ٢٧ فبراير جمعت صوفيا أعضاء اللجنة التنفيذية المقيمين في بطرسبرج في الحال وكان منهم ضابط البحرية سوخانوف، والصحن تيكومبروف، وأساييف وفرولتسكو، وجراتشفسكي، وحنه كوربا، واجتمعت اللجنة في دار فيرا فنجير، وبحث الموقوف الخطير الذي انتهت إليه، وكيف أخفقت مشاريعها التتالية في الأشهر الأخيرة، واستطاعت شرطة القيصير أن تشل كل حركتها، وأن تقبض أخيراً على زعيمها؛ وبعد مناقشات عاصفة قررت اللجنة بالإجماع أن تنفذ مشروع جليابوف لاعتقال القيصير وعهدت إلى صوفيا يروفسكايا بالإشراف على التنفيذ، وكانت اللجنة تري بهذه المشاريع الجنائية التتالية فضلاً عن الانتقام للصحافيا العديدين، إلى غاية سياسية عملية هي أن تستغل ما يترتب على الاغتيالات السياسية من الاضطراب والروع وتحقيق بعض مطالبها الدستورية. ولكن هذه الخطة لم تحدث أثرها المنشود بل زادت بالعكس في سحق القيصيرية وحرصها على سلطانها، وزادت إقداماً وقسوة في تتبع خصومها.

(للبحث بقية - النقل ممنوع) محمد عبد الله غنانه

ولي العرش سنة ١٨٥٥ يمنح في بداية عهده إلى نوع من الإصلاح مسألة الحركة التحريرية وتحقيق بعض غاياتها. وكان تحريره يقيق الضياع في سنة ١٨٦١ فاتحة طيبة لهذه السياسة الإصلاحية؛ كان يميل في نفس الوقت إلى إجراء بعض الإصلاحات الدستورية لئلا تؤثر في مجموعها على حقوق السلطة العليا، ولكن تتخذ في الوقت نفسه صورة المنح والمزايا الدستورية؛ وكان يعتقد أنه ستطيع تحقيق هذه الغاية بإنشاء المجالس المحلية (زمستفوس)، لكن الحركة التحريرية لم تحفل بهذه المشاريع الجزئية بل اشتدت مطالبها وضاعفت جهودها في سبيل الكفاح والنضال، شهرت على القيصيرية حريها الموان، وردت القيصيرية بمضاعفة إجراءات القمع الذريع، واضطربت بين اسكندر الثاني وبين نهلسية تلك المعركة الدموية المروعة التي أتيننا على وصفها

ورأت اللجنة التنفيذية الثورية أو اللجنة التنفيذية لإرادة شعب كما كانت تسمى، أن تقضى على الشر من أصوله فقررت بدم القيصير (٢٦ أغسطس سنة ١٨٧٩) ونظمت شعبها فدائية، ودرت نباعاً عدة مشاريع لاعتقال القيصير. فبدأت شهر نوفمبر بوضع لثم في طريق القطار الذي يسافر فيه القيصير لكنه لم يتفجر. وفي ديسمبر وضع الفدائيون لثماً آخر في طريق قطار المسكي إلى موسكو انفجر عند مرور القطار، ولكن القيصير بل إلى موسكو في قطار سابق؛ وفي مساء ١٧ فبراير سنة ١٨٨٠ بف الفدائيون قاعة الطعام في قصر الشتاء على ظن أن القيصير ن عندئذ يتناول طعامه فيها، ولكن القيصير كان في مكان آخر القصر، ولم يكن قد جلس إلى المائدة بعد، فقتل في الحادث ببحر سبعة وستون من الجند والحشم. ونشطت القيصيرية من بها إلى مطاردة الجناة، فأعدم عدة من الفدائيين، ومنع يس مليكوف وزير الداخلية سلطة مطلقة على العاصمة لكي تطيع السهر على حياة القيصير وأسرته، وخول له الإشراف المطلق القضايا السياسية وعلى جميع السلطات الادارية والمدينة. ورأى مكوف من جهة أخرى أن يتخذ بعض إجراءات لاستمالة شعب فأفرج عن كثير من المعتقلين وكانت تغص بهم السجون، وآلاف الطلبة إلى الجامعات التي أخرجوا منها. وأصدرت لجنة التنفيذية بياناً قالت فيه: «إنها لن تترك الكفاح حتى يزل اسكندر الثاني عن سلطانه للشعب ويترك مكانه لجمعية وطنية يسياسة تضع مبادئ الإصلاح الاجتماعي». ولكن حدث في

عصبة الأمم في التاريخ

للدكتور حسن صادق

١ - فكرة عصبة الأمم ونظورها

يكثر الناس في هذه الأيام من الكلام عن عصبة الأمم بمناسبة انضمام مصر إليها في هذا العهد الجديد ، ومنهم من يجذ هذا الانضمام ويرجو من ورائه خيراً ، ومنهم المتشائم الذي يمثل في ذهنه الماضي القريب وما جرى فيه من حروب وعدوان بين دول هي أعضاء في العصبة ، ويرى أن عظم هذه العصبة للقوى وغمرها على المصير الضعيف . وليس من غرضنا في هذا المقام أن نخوض غمار السياسة في مجتثنا الأدبية ، ولكننا سنبين في هذه الكلمة كيف ولدت فكرة العصبة وتطورت خلال الزمن حتى برزت في شكلها الحالي ، ونرجو أن يجد القارئ في هذا الموضوع بعض الفائدة العلمية التاريخية .

من تصفح التاريخ يجد أن الشعوب دائماً في حروب تفصلها فترات تطول حيناً وتقصّر أحياناً . وكما وضعت حرب أوزارها يبحث الانسان عن وسائل لتنظيم السلام ويهتم لهذا الأمر جد الاهتمام . ولم يشعر الانسان في أي وقت بشدة حاجته إلى توطيد أركان السلام أكثر مما شعر عقب الحرب العظمى في سنة ١٩١٤ لهول مالاتي الناس منها . وقد كانت فكرة عصبة الأمم كائنة قبل الحرب ، وظهرت جلية في كتاب للسيبوليون بورجوا الفرنسي عنوانه « عصبة الأمم » . ثم بدت هذه الفكرة بعد ذلك رسمياً في مذكرة الرئيس ويلسون في ديسمبر سنة ١٩١٦ . وانتشرت هذه الفكرة بين رجال الحكم والسياسة فقيوت ، ثم ازدادت قوة حين تغلقت في الرأي العام وسرت بين الشعوب التي عانت في الخنادق أفتاح الآلام وذات في تلك الحرب الضروس طعم الأهوال البشعة التي يذبح ذكرها لفائف القلوب .

وفكرة عصبة الأمم تضرب بأصولها إلى أزمان بعيدة ، لأنها تتصل بشعور طبيعي ضروري ، وبرغبة شديدة في الهدوء والسلام . والباحث المتدقق يجد أن عصبة الأمم وجدت منذ أن تكونت شعوب منظمة قمت بينها الصلات الكثيرة المختلفة . وقد أنشأ

الرومان ما يمكن أن نسميه « جمعية شعوب » وكانوا هم بطبيعة الحال رؤساء هذه الجمعية .

وبعد وقت طويل جاءت المسيحية تحمل للعالم أفكار المساواة والأخاء على الأخص . وهذا المثل الأعلى العظيم تحقق تقريباً في القرون الوسطى أي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر . فالمسيحية في ذلك العهد كانت عبارة عن أسرة مكونة من جميع الأمم المسيحية ، تحت نفوذ رئيسين هما البابا والإمبراطور . ولم يكن هذا النظام في الواقع إلا نوعاً خاصاً من « عصبة الأمم » تقوم على أساس من الدين . وكان رئيس المسيحية يحظى بسلطان كبير ، فكان في استطاعته أن يصدر قرار الحرمان ضد أية دولة أو ضد جماعة من الأفراد ، ومن حقه أن (يشلح) أي فرد ولو كان رئيس دولة ؛ وهذا القرار الذي يجعل الدولة التي صدر ضدها خارجة على القانون له نتائج خطيرة ، لأنها تصبح عرضة لعدوان الدول الأخرى عدواناً مشروعاً . وهذه الحال من غير شك تنتج اضطراباً خارجياً . وفوق ذلك فإن رعاية الأمير الخارج على القانون يصبحون في حل من عين الطاعة والاختلاص له ، وينتج عن هذا اضطراب داخلي دون ريب . وقد لجأ البابوات كثيراً إلى هذه الوسيلة لحفظ السلام وليصبحوا رؤساء إمبراطورية شاسعة كما يقول بعض المؤرخين .

وكانت الحروب في تلك الأزمنة مشروعة ضد الملحين ، وجائزة في أحضان المسيحية نفسها . ولكن البابوات والأساقفة كانوا يبحثون عن وسائل لتقصير مدتها وتخفيف نتائجها ؛ من ذلك أن مجالس الدين في تولوز وكليمون بفرنسا أذاعت في الناس ما يسمى « هدنة الله » و « سلام الله » ووجدت هذه الأذاعة من الدول المسيحية ما تستحقه من الاحترام .

والقريب في ذلك العهد أن الحرب نفسها كانت متلفة بروح من العدل . ولم تكن الموقعة تقوم على خطط حربية ، ولكن كان المعتقد أن الذي يخرج من الحرب ظافراً ، سيخرج من محكمة الله في الآخرة وعلى رأسه تاج النصر والظفر ؛ وعلى ذلك كانت تجري المواقع بطريقة تبتث اليوم في النفس دهشة شديدة . فالخصوم كانوا يتواعدون في ساعة ومكان معينين ، ويصطفون للموقعة بطريقة تغطية لاتغير ، ثم يهجم بعضهم على بعض وجهاً لوجه . وكانت خدع الحرب إلى القرن الخامس عشر تعتبر خيانة وعاراً ينفر منه المتانل أشد النفور . وأول موقعة